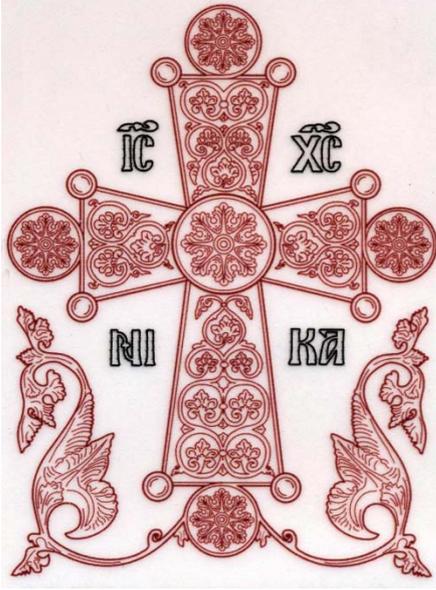


ما هي الأرثوذكسية؟



لن أنسخَ تحديداتِ من الكتب، بل سأتكلمُ من أعماقِ قلبي. الأرثوذكسيةُ هي الحقيقةُ الوحيدة، والدعوةُ إلى مغامرةٍ مثيرةٍ ومذهلة. وبالطبع، تحتاجُ جرأةً وفيها من الخطورة ما يكفي، وليست مستندةً إلى شجرتي غارٍ من الزمن الغابر. ولعمري، لن أخالف أبداً دوستوفيسكي القائل: "أؤمنُ أنه لا يوجدُ شيءٌ أجمل، وأكثرَ عمقاً، وأكثرَ حباً، وأكثرَ شجاعةً وكمالاً من المسيح...".

نريدنا الأرثوذكسيةَ أنقياءَ وأبرياءَ، وتطلبُ منا الكثير. فمن دونِ الله سنكونُ بكلِّ تأكيدٍ أناساً أشقياء.

في الحقيقة، نحنُ لسنا قديسين. والأسوأ من ذلك، أننا نعتبرُ أنفسنا قديسين. هذا الأمرُ لا يُعجبُ اللهَ مطلقاً. لا نريدنا الأرثوذكسيةَ ممالقين، بل صريحين، ومتواضعين حقيقيين ومتساهلين مع الآخرين، وألاً نظنُّ السوءَ بهم، ولا نكونَ غيورين بل صبورين. مسيحُ الأرثوذكسيةِ في متناولِ الجميع، ودودٌ، ونبيل، ومتسامحٌ ومحبوب. ما من مرةٍ خاطبَ الخطاةَ بقسوةٍ ولا حتى ازدرى بهم. فهو يدركُ ضعفنا، وعدميتنا، وعجزنا. لا يُسيء، ولا يبكت، لا يعاقبُ ولا ينتقم. لا بل يُسامح، ويُحبُّ ويُضحِّي لأجلنا.

رجلٌ رومانيٌّ-عبرانيٌّ اسمه نيقولاوس ستاينخارت، صارَ أرثوذكسياً وهو في السجن، كتبَ في دفترِ مذكراته: "لم يكُ اللهُ يوماً هذا المعنى المجرد، هذا الخالق اللامبالي، وليس هو براهماً لا يُقتربُ إليه، ليسَ هو ألوهة المعرفة التي تطوي الدهور".

ليست الأرثوذكسيةُ ديانةً جميلةً بين أخرياتِ جيِّدات، بل هي نمطٌ، وموقفٌ، وطريقةُ حياة. هي محبةٌ مُضحيةٌ من دونِ مُقابل. إنها محبةُ الأعداءِ ومُسامحةُ الجميع. الأرثوذكسيةُ عثرةٌ وغباوةٌ للعقلانيين كثيراً.

ليسَ التعليمُ الأرثوذكسيُّ عديمَ الحكمة، أو مُعقداً، أو صعباً أو غيرَ ممكن. هو ليسَ للمؤمنين المتراخين كما وليسَ للمتدينين المتعصبين. إنه لأمرٌ روحيٌّ مُلحةٌ، وللمتفائلين والمحاربين. ويُعطي الحريةَ الواقعيةَ والغبطة، ويُظهرُ السلامَ، والهدوءَ وجمالَ القديسين. ليست الأرثوذكسيةُ مُهدتاً أو مُنوماً، بل هي مجازفةٌ مُستمرةٌ، ويقظةٌ دائمةٌ، وموقفٌ مُستقيمٌ، وسهرانيةٌ

متواصلةً بقيامة. ليست الأرثوذكسية يونانية بل مسكونية، وليست محصورةً في الجبل المقدس أو في أورشليم بل في قلب كل مؤمن متواضع.

كل من يعتبر أن الأرثوذكسية هي للسذج وعديمي النفع يقع في ضلال يستحق الرثاء. إن كان أحد يظن أن الكنيسة الأرثوذكسية تُعلم بعض الكسالى والنواحين فهو على خطأ. يجاهد الأرثوذكسيون من أجل الكمال، والشفافية والأصالة. ليسوا عديمي التقبل وباردين. فبطلان هذا العالم لا يحزُّهم بل يجعلهم حكما. إلهنا ليس ساحراً ولا منجماً ولا لاعب خفة ولا صانع معجزات غريباً. لا تُعجبه الأمور الوسطية والمحنة والمضنية والتي لا تُحتمل والفاترة. لكنه يحب الأمور الصادقة والكاملة والمتواضعة.

في الأرثوذكسية نحن دائماً على الرجاء، ونفرح سرّياً، ولا نستطيع إلا أن نتفاءل. نعيش لكي نُحب. ومن يعتقد أن الأرثوذكسية تُريد أعداءً وتُحارب فقط، وهي موجودة لكي تحكم وتُصدر أحكاماً، فهو بكل تأكيد فقد صوابه. لكي نقوم يجب أن نُصلب أولاً. والصلب يحتاج تهيئةً مسبقة. الصلب يأتي في حينه. الأرثوذكسية مصلوبة، متواضعة وقائمة.

الأرثوذكسية تعني العمل القويم، والمعرفة الحقيقية والمستقيمة والحياة النقية. ولطالما أسأوا فهم الأرثوذكسية. ولعلنا نحن المسؤولين عن هذا، لأننا نُظهرها بطريقة خاطئة. الأرثوذكسية تُعاش أكثر مما تُعلم. الأرثوذكسية حزنٌ أمومي حنون، يعرف أن يُريح أولاده بطريقة عظيمة.

الراهب موسى الآثوسي



دير رقاد والدة الإله - حطوره

© ٢٠١٠